فرضيّة عصمة آل البيت
بين الوهم والحقيقة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. قبل الدخولِ في تبيانِ فرضيّةِ عِصمةِ آل البيت ، لا بُدَّ أن نُبيِّنَ أنَّ نقدَ هذه الفرضيّةِ لا ينتقصُ أبداً من آلِ البيت كقيمةٍ يتعلّقون بها دماً بالنبيِّ ﷺ .. ولا ينتقصُ من حقِّهم التاريخي كونَهم تعرّضوا للذبح والاستبداد على أيدي بعضِ رجالات الجيل الأوّل ، فنقدُ فرضيّةِ عصمةِ آلِ البيت ، لا يختلفُ – أبداً – عن نقدِ فرضيّةِ عدالةِ الصحابة ... هدفنا من دراسةِ هذه الفرضيّةِ ونقدِها هو الوقوفُ على حقيقةِ منهجِ الله تعالى ، الذي هو غايتنا ، وليست غايُتنا آلَ البيت كما أنّه ليست غايتُنا الصحابة .. فالمنهجُ أكبرُ من التاريخ ورجالاتِه ، سواءٌ كانوا أهلَ بيت أم صحابة ..

.. في كتابِ الله تعالى تردُ كلمةُ آل : (٢٦) مرّة ، تأتي فيها مرتبطة بإبراهيم ولوط ويعقوب وموسى وهارون وداود وعِمْرَان وفرعون ، ولا يُوجدُ في كتابِ الله تعالى نصٌّ قرآني واحد فيه العبارة : (آل البيت) أو (آل محمد) ، أو حتى فيه إشارة إلى هذه العبارة .. هذه حقيقةٌ قرآنيّة ، بإمكان أيِّ إنسانٍ أنْ يتأكّدَ من صحّتِها ..... ما يَرِدُ في كتابِ الله تعالى هو العبارة ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ .. إذاً .. دراستنا القرآنيّة لهذه الفرضيّة – في هذه المحطّة – ستتمحور حولَ دلالاتِ العبارةِ القرآنيّة : ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ..

.. كلمةُ (أهل) في كتاب الله تعالى مُستقلّةٌ عن النسل والدم ، بمعنى أنّها لا تقتضي حتميّةَ التعلّق بالنسل والدم .. فلربما يكون مِنَ النسل والدم مَنْ هو ليس من الأهل .. لننظر إلى الصورة القرآنية التالية ..

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾
[هود : ٤٢ ــ ٤٦]

.. العبارة القرآنيّة ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ ، تبيّن لنا بشكلٍ جليٍّ أنَّ الذي غرق هو ابنُ نوح .. والعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ ، تبيّن لنا بشكلٍ جليٍّ أنّ هذا الابن ليس من أهل نوح عليه السلام ، والسبب أنّه عَمَلٌ غيرُ صالح

.. فلأنّه عَمَلٌ غيرُ صالح تمّ إخراجُهُ من انتسابِهِ أهلاً إلى أبيه ، معَ أنّه ابنٌ لأبيـــه .. إذاً .. مسألة الأهل مُجرَّدةٌ عن النسبِ الدمويِّ والسلالة ، وتتعلّقُ بالعمل والعقيدة ..

.. والعبارةُ القرآنيّة ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ترد في كتاب الله تعـــالى مـــرّتين ، همـــا في الصورتين القرآنيتين التاليتين ..

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾
[هود : ٧١ ــ ٧٣]

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾
[الأحزاب : ٣٢ ــ ٣٤]

.. إنّنا نرى أنّ العبارةَ : ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ تردُ في كتاب الله تعالى ، عبر سياقٍ متعلّقٍ بامرأة إبراهيم عليه السلام ، وعبرَ سياقٍ آخر يتعلّقُ بنساء النّبي ﷺ .. ودراستُنا لِفرضـــيّةِ عصمةِ آلِ البيت ، ستنطلقُ من العبـــارة القرآنيّـــة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، كوْنَ هذه الفرضيّة تعتمدُ على هذه العبارة في إثباتِ العصمة ..

.. في البداية .. نرى أنَّ هذه العبارةَ موجودةٌ في قلبِ نصٍّ قرآنيٍّ يُصـــوِّرُ أحكامـــاً خاصّةً بنساء النبي ﷺ ، وتردُ بصياغةٍ تختلف عن صياغةِ النصِّ المحيطِ بها ، بمعنى أنَّ صِـــيَغَ

المخاطبةِ في النصّ المحيطِ بها تأتي بصيغة المؤنّث ، بينما صيغةُ المخاطبة بها تأتي بصيغةِ المذكّر : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. فلماذا لم ترد هذه العبارةُ القرآنيّةُ بصيغةٍ موافقةٍ لصيغةِ النصِّ المحيط بها ، وهي صيغة المؤنّث ، أي لماذا لم تأتي هذه العبارةُ القرآنيّةُ على الشكل : (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكنَّ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُن تَطْهِيراً) ؟!!! ..

.. إنَّ هذا الاختلافَ في صيغةِ المخاطبة هو لحكمةٍ إلهيّةٍ مُرادة ، فلو أتت هذه العبارةُ القرآنيّةُ بصيغةِ المؤنّث ، أي بالشكل : (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُنَّ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُنَّ تَطْهِيراً) ، لانحصرت ساحةُ أهلِ البيت بنساء النبي ﷺ فقط .. وورودها بصيغة المذكّر لا يعني استثناءَ نساءِ النبي ﷺ من أهلِ البيت ، إنما يعني أنّ أهلَ البيت هم نساءُ النبيِّ ﷺ وغيرُهنّ .. وهذا يُعطي لمسألةِ أهلِ البيت إطلاقاً يتجاوزُ نساءَ النبي ﷺ ، دون استثنائهنّ من ذلك ..

.. هذا من جهةٍ .. ومن جهةٍ أُخرى كيف يُحتَجُّ بصيغةِ المذكّر دون المؤنث لإخراج نساء النبي ﷺ من أهل البيت ، في الوقتِ ذاتهِ الذي تُعتَبَرُ فيه فاطمةُ من أهلِ البيت ؟!!! .. أليست هي الأخرى أُنثى ؟ !!! .. فلماذا تخرجُ نساءُ النبيِّ ﷺ من إطارِ مسألةِ أهلِ البيت كَوْنَهنّ إناثاً ، ولا تخرج فاطمة من مسألةِ أهلِ البيت كَوْنَها أنثى ؟!!! .. إذاً الاستدلال بأنَّ نساءَ النبيّ ﷺ لا ينتمين إلى ساحةِ أهلِ البيت بسبب كَوْنِ هذه العبارة القرآنيّة بصيغة المُذكَّر ، هو استدلالٌ غيرُ سليم ..

.. وفوق ذلك .. ألم تُخاطَبْ نساءُ النبيّ ﷺ في كتاب الله تعالى بصيغةِ المذكّر .. يقول تعالى :

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢]

.. أليست الكلمتان : ﴿ يَأْت ﴾ ، ﴿ كَأَحَد ﴾ ، هما بصيغة المذكّر على الرُّغم من ورودِهما في سياقٍ قُرآنيٍّ خاصٍّ بنساءِ النبي ؟ .. وهنا نتوجّه بالسؤال لِمن يحتجُّ بأنَّ نساءَ النبيِّ لا ينتمينَ إلى أهل البيت بناءً على ورودِ العبارة التي هي قيدُ الدرس بصيغة المذكّر ، فنقولُ لهم : هل المقصود – في هاتين الصورتين القرآنيّتين – الذكور دون الإناث ، بناءً على هذه الصيغة ، أم أنَّ احتجاجَكم هذا ليس سليماً ؟!!! ..

.. إذاً الاستدلال بصيغةِ المُذكّر دون المؤنث في العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وذلك لإخراجِ أزواج النبيِّ ﷺ من ساحةِ أهل البيت ، هو استدلالٌ ليس سليماً ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال ، وهو عصبيّةٌ مُسبقةُ الصنع تبحثُ لها عن مقدِّماتٍ بمنهجيّةٍ غيرِ موضوعيّةٍ وغيرِ علميّة ..

.. إذاً .. ورودُ الصورة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دون الصيغة : (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُنّ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُنّ تَطْهِيراً) ، هو لحكمة إلهيّة مُرادة ... ومن هذه الحكمة السببان التاليان :

– هذه العبارة بهذه الحيثيّة من الصياغة ، تُدْخِلُ نساءَ النبيِّ ﷺ في مسألةِ (أهل البيت) ، وفي الوقت ذاته تُدخِلُ غيرَهن ، فكما بيّنا لو أتت الصياغة القرآنيّة بصيغة المؤنّث ، لانحصر مفهوم أهل البيت بنساء النبي فقط ، ولكنّها بهذه الصياغة تشملُ ساحةً أوسع ..

– هذه العبارة بهذه الحيثيّة من الصياغة ، تُبيّنُ لنا أنَّ المسألةَ تتعلّقُ بالعِرض والشرف ، وبالتالي هي مسألةٌ تهمُّ الجميع ذكوراً وإناثاً ... ولو نظرنا في السياق القرآني السابق لِهذه العبارة القرآنيّة لرأينا أحكاماً تتعلّقُ بذلك : ﴿ ..... إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ..... ﴾ .. هذه

الأحكام كشرفٍ وعِرض تمّ الجميع على حدٍّ سواء ، سواءٌ كانوا النبيَّ ﷺ ، أو نساءَه ، أو أهلَ بيته ، أو المؤمنين المنتسبين عقيدة لأهل البيت ..

.. ولو كانت مسألةُ أهلِ البيت مسألةَ نسبٍ دمويٍّ ، لكان أبو لهب منتمياً إليها ، فنحن نعلمُ أنّ أبا لهب بعد فاطمة بنت النبيّ ﷺ هو من أقرب الناس (دماً) إلى النبيّ .. فهل قرابةُ أبي لهب الدمويّة للنبيّ تُدْخِلُه في ساحةِ أهلِ البيت ؟!!! ، وهل تعطيه أيّ درجةٍ للتقرّب إلى بيت الرسالة والنبوّة ؟!!! ..

.. إذاً مسألةُ أهل البيت ليست مُقتصرةً على أفرادٍ مُحدّدين دون غيرهم ، إنّها مسألةٌ تتعلّقُ باقتراب الإنسان – أيِّ إنسان – من منهج الرسالة والنبوّة ، اقتراباً يجعلُه أهلاً لأن يحملَ هذا المنهجَ وَيَخْلُصَ به .. هكذا نفهم دلالاتِ كلمةِ أهل من كتاب الله تعالى .. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ لا تُفيدُ أيَّ دلالةٍ للنسب الدموي ، ولا تحصر المسألةَ بإطارٍ تاريخي .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : ﴿ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ ، فهذه العبارةُ – أيضاً – لا تتعلّقُ بها أيةُ دلالةٍ لنسبٍ دموي أو تاريخي .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : ﴿ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : ﴿ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ ... والآيةُ الكريمةُ التاليةُ تضعُ النِّقاط على الحروف في رسم دلالات كلمة أهل : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر : ٥٦]

.. والاحتجاجُ ببعضِ الروايات التي تُبيِّنُ أنَّ أهلَ البيت هم فقط عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين ، كالروايات التالية ..

مسلم (٤٤٥٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ زَكَرِيَّاءَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ **قَالَتْ عَائِشَةُ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ**

عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

الترمذي (٣٨٠٦) :

حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَّلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ** قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي الْبَاب عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَأَبِي الْحَمْرَاءِ وَمَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ وَعَائِشَةَ

أحمد (٢٥٣٨٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَّلَ عَلَى عَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ**

.. الاحتجاجُ بهذه الروايات على مسألةٍ مُبيَّنةٍ في كتابِ الله تعالى ، بحيث تُعَدُّ مثلُ هذه الأحاديث معياراً لفهم دلالاتِ كتابِ الله تعالى ، هو احتجاجٌ ليس سليماً على الإطلاق .. فهذه الروايات شأنُها شأنُ غيرِها من الروايات ، تأخذ مصداقيّتها من موافقتها لكتاب الله تعالى ، وبالتالي فالاحتجاجُ بها على أنّها مائة بالمائة صحيحة ، في الوقت الذي يُعْتَبَرُ غيرُها من الروايات ليست صحيحةً على الرّغم من ورودِها في ذاتِ كتبِ الأحاديث ، هذا الاحتجاجُ لا يستندُ إلى أيِّ منهجيّةٍ علميّةٍ في البحث ، وهو ناتجٌ عن عصبيّةٍ مُسبقة الصنع ، مادّتها هوى النفس الأمّارة بالسوء ونزوعها نحو الأصنام ، وقالبها العصبيّات المذهبيّة والطائفيّة التي تتولّد من ردود الأفعال تجاه الآخرين ..

.. وفي هذه النقطة بالذات نرى كيف أنَّ المنهجيّةَ العلميّةَ في تناول روايات الأحاديث بعيداً عن العصبيّاتِ المُسبقةِ الصنع ، نرى أنَّ هذه المنهجيّةَ العلميّةَ – للأسف – ليست موجودةً عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء .. فالشيعةُ يأخذون بهذه الأحاديث دليلاً على حَصْرِ أهل البيت بالأشخاص الواردين في هذه الأحاديث ، في الوقت الذي لا يعترفون فيه بمصداقيّة معظمِ الأحاديث الواردة في ذاتِ الكتب .. فلماذا هذه الأحاديث صحيحة ، وغيرُها ليس صحيحاً على الرغم من أنّها جميعَها تَردُ في ذات الكتب ؟!!! ..

.. وأهل السنّة يقولون إنَّ مفهومَ أهل البيت يشملُ نساءَ النبيّ ﷺ ، في الوقت الذي يُقرّون به بصحّةِ هذه الأحاديث ، فهم يُقرّون حقيقةً صحيحةً ولكنّهم – في الوقتِ ذاتِه – يُقرّون رواياتٍ تُناقضُ هذه الحقيقةَ الصحيحة ..

.. وفي تناول السنّة والشيعةِ لمثلِ هذه الروايات ، نرى أنّنا أمامَ عصبيّاتٍ وأهواءٍ مُسبقةِ الصنع لا تعتمدُ على أيِّ منهجيّة علميّة في البحث .. فكلا الطرفين لم يذهب إلى وَضْعِ هذه الروايات وغيرِها في ميزانِ القرآنِ الكريم ، بحيث يكونُ القرآنُ الكريمُ فيصلاً في تحديدِ صدقِ الرواية بناءً على مَتْنِها ، وفيصلاً في تحديد دلالاتِها ..

.. من هنا نرى كيفَ أنَّ المذاهبَ والطوائفَ كمنظوماتٍ فِكريّةٍ ، ليست نتاجاً علميّاً مُستنبطاً من كتابِ الله تعالى بمنهجيّة سليمة ، إنّما هي نتاجٌ سياسيٌّ مدفوعٌ بعصبيّةٍ وهوىً وتقديسٍ لأصنامِ التاريخ ، وبالتالي فهي صناعة بشريّة محضة ، لا تُنتجُ إلاَّ مزيداً من تشرذم الأمّة وإغراق أبنائها – مع الزمن – في مستنقعات التاريخ ..

.. ولنأتِ إلى فرضيّةِ عِصْمَةِ آلِ البيت ، التي هي جَوْهرُ دراستِنا في هذه المحطّة .. لقد تمّ الاعتمادُ على العبارة القرآنيّة ذاتِها : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ ، لإثبات فرضيّةِ عِصْمةِ آلِ البيت .. ولو نظرنا في هذه العبارةِ القرآنيّة لرأينا إرادةَ الله تعالى فيها إرادةً شرعيّةً وليست إرادةً كونيّة .. ففي كتابِ الله تعالى تُقْسَم الإرادةُ إلى قسمين :

١ – هناك إرادةٌ كونيّة تتعلّق في إيجاد الله تعالى لِلأشياء الماديّة ، وهي حتميّة الوقوع ، فإرادةُ الله تعالى الكونيّة في إيجادِهِ للأشياء لا بُدّ وأن تتحقّق .. لننظر إلى قولِه تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .. إنّنا نرى – في هذه الآيةِ الكريمة – أنّ الله تعالى يقول : ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا ﴾ ، وأنّه لم يقل : (إذا أراد أمراً) ، وهذا دليلٌ على أنَّ الإرادةَ المعنيّةَ هنا هي الإرادةُ الكونيّة وليست الإرادةَ الشرعية .. فكلمةُ (شيء) تحملُ دلالاتٍ تتعلّقُ بعالَمِ الخلق ، وكلمة (أمْر) تحملُ دلالاتٍ تتعلّقُ بعالَم الأمر .. وعالم الخلق وعالم الأمر عالمان متمايزان .. يقولُ تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤]

٢ – هناك إرادة شرعيّة لله تعالى ، تتعلّقُ بتبيانِ منهج الله تعالى وأوامِرِهِ وما يحملُ من تكليفٍ للكائنات المُكلَّفة ، وهذه الإرادةُ ليست حتميّةَ الوقوع كالإرادة الكونيّة .. فلـــو كانت الإرادةُ الشرعيّةُ حتميّةَ الوقوع لَرُفِعَ التكليف ، ولما كان هناك معنىً لفلسفة الثواب والعقاب ..

.. في كتاب الله تعالى .. إرادةُ الله تعالى الشرعيةُ تتعلّقُ بعدمِ حصولِ الظلمِ للعالمين ، وبأن يتّجهَ الإنسانُ بقصدِهِ وَعَمَلِهِ إلى الآخرة ، وأن لا يتّجه إلى عَرَضِ الدنيا الزائل ..

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠٨]

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال : ٦٧]

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [غافر : ٣١]

.. وهنا نسألُ السؤالَ التالي : هل جميع البشر عملوا بهذه الإرادة الشرعية التي يريدُها اللهُ تعالى لهم جميعاً ؟ .. بالتأكيد لم يعمل جميعُ البشر بمقتضى هذه الإرادة الشرعيّة لله تعالى ، فنحنُ نرى الظلمَ بين العالمين ، ونرى أنَّ الذين يُريدون الآخرةَ ولا يُريدونَ عَرَضَ

الدنيا الزائل ، هم الأقليّة من البشر ، معَ أنَّ إرادةَ الله تعالى الشرعيّة المعنيّةَ في هذه الآيات الكريمة هي لكلِّ البشر دون استثناء ..

.. لننظر إلى النصِّ القرآني التالي ، الذي يُصوِّرُ لنا إرادةَ الله تعالى الشرعيّةَ المتعلّقةَ بتبيانِ الحقّ لكلِّ الناس ، وبهدايتهم ، وبقبول توبتهم ..

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٢٦ – ٢٧]

.. فهل جميع البشر عملوا بهذه الإرادة الشرعيّة لله تعالى ، فاهتدَوا ونالَوا توبةَ الله تعالى وغفرانَه ، لمجرّد أنَّ الله تعالى يريدُ لهم ذلك ؟ !!! .. أبداً ... تحقُّقُ هذه الإرادةِ الشرعيّةِ يكونُ بالعمل وفق أحكامِ اللهِ تعالى التي بيّنها لعباده ، وهداهم إليها .. هذا ما نُدركُهُ من دلالاتِ هذه الآيةِ الكريمة ..

.. وإرادة الله تعالى في العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ هي بالتأكيد إرادةٌ شرعيةٌ وليستْ كونيّة ، فإذهابُ الرجس والتطهير مسألتان ليستا كونيّتين ، وتتحقّقان بالعمل الذي يؤدّي إليهما .. فالله تعالى يريدُ لأهل البيت إذهابَ الرجس والطهارة .. أمّا وقوع هذه الإرادة فهو مسألة متوقّفة على عملِ أهل البيت وفق مقتضيات تحقيقِ هذه الإرادة الشرعيّة على أرضِ الواقع ..

.. وهذه الإرادةُ الشرعيّةُ – كما نرى – تردُ بصيغةِ المضارع : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وهذا يُؤكّدُ أنَّ إرادةَ التطهيرِ وإذهابِ الرجس هي مسألةُ تفاعلٍ مستمرٍّ ، ومسألةُ حياةٍ تتعلّقُ بالعمل الذي يقوم به أهلُ البيت في حياتِهم الدنيا لتحقيق وقوع هذه الإرادة التي تؤدّي إلى الطهارة وإذهاب الرجس .. فالله تعالى لم يقل : (إِنَّما أرادَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ آلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) .. ولم يقل : (إنّ الله أذهبَ عنكم الرجس آل البيت وطهّركم تطهيراً) ، ولم

يقل : (إنّ الله عَصَمَكُم آلَ البيت) .. إنّما يقولُ جلّ وعلا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. فالمسألةُ إذاً مسألةُ إرادةٍ شرعيّةٍ يحتاجُ تحقيقُها إلى عَملٍ مُستمرٍ من قِبَلِ أهل البيت المعنيين بهذه العبارة القرآنيّة ..

.. ولو فرضنا – جدلاً – أنَّ الإرادةَ المعنيّةَ في العبارةِ القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، لو فرضنا – جدلاً – أنّها إرادةٌ كونيّة ، لَمَا كان هناكَ من قِيمةٍ إيمانيّةٍ للمعنيّين بهذه العبارة القرآنيّة .. فحينما يكونُ إذهابُ الرجسِ والتطهيرُ مسألةً كونيّةً ليست شرعيّةً ، ولا علاقةَ لها بعملِ الإنسان وفقَ منهجِ الله تعالى بما يقتضي إذهابَ الرجسِ والتطهير ، حين ذلك يكونُ المعنيُّ خارجَ التكليف بالنسبةِ لهذه المسألة ، وهذا يتناقضُ مع كليّةِ ما يحملُه القرآنُ الكريم من دلالاتٍ تُؤكِّدُ أنَّ الرجسَ – بالنسبةِ للإنسان – مسألةٌ ليست كونيّةً ، إنّما هي مسألةٌ شرعيّة ، يجعلُها الله تعالى على الإنسان نتيجةَ عدمِ إيمانه وعدمِ تعقّله .. يقولُ تعالى ..

﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

.. وبالتالي فإنَّ وَصْفَ الإرادةِ المعنيّةِ في قَوْلِه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ بأنّها إرادةٌ كونيّةٌ وليست إرادةً شرعيّة – هو في النهايةِ – إساءةٌ لأهل البيت ، فذلك يحملُ افتراضاً أنَّهم أُذْهِبَ عنهم الرجس وطُهِّروا تطهيراً ، دون إيمانٍ وتعقّلٍ اقتضى إذهابَ الرجس واقتضى التطهير ، وبالتالي – حسبَ هذا الفرَضِ غيرِ السليم – لا يحملون أيَّ قيمةٍ إيمانيّة يتميّزونَ بها ، وهذا يتنافى مع دلالاتِ العبارة القرآنيّة : ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ..

.. إذاً .. نساءُ النبي ﷺ – أزواجه وبناته – واللاتي يُخاطبُهُنَّ الله تعالى بقولِه : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، حينما يتمثلن أحكامَ الله تعالى ويعملن

بها : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴾ .. حين ذلك .. تتحقّق إرادةُ الله تعالى الشرعيّة في أهلِ البيت (ذكوراً وإناثاً) بصونِ عِرضِهم وشرفِهم وبتمثّلهم لأحكامِ اللهِ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. بمعنى .. أنَّ عملَ نساءِ أهل البيت والتزامَهنّ بأحكامِ العباراتِ القرآنيّةِ السابقةِ لعبارةِ التطهير في الآية ذاتها ، يُحقِّقُ إرادةَ الله تعالى الشرعيّة في إذهاب الرجس والتطهير بالنسبةِ لأهلِ البيت ..

.. وبعيداً عن الأهواء والعصبيّات والموروثات التي ينقضُها كتابُ الله تعالى .. بعيداً عن ذلك ، وفي دلالاتِ كتابِ الله تعالى نرى أنَّ نساءَ النبيِّ ﷺ لا يمكن القول بأنهنّ معصوماتٌ عن الخطأ ، وشأنهنّ بذلك هو شأنُ أيِّ إنسان .. ولا يمكنُ الجزمُ بأنَّ كلَّ ما يَعْمِلْنَه سنّةٌ مقتبسةٌ من سنّة رسول الله ﷺ .. ولا يمكنُ الجزمُ بأنّهنّ أفضلُ الموجود في عصرهنّ من النساء .. فالعبارةُ القرآنيّة ﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ في قولِهِ تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] ... هذه العبارة : ﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ ، تُبيّنُ أنَّه في حال طلّقَ النبيُّ ﷺ نساءَه فإنَّ اللهَ تعالى سيُبْدِلُهُ أزواجاً خيراً منهن ، وتلك الزوجات المفترضات لا بدّ أن يكون لهنّ وجودٌ في عصر النبيّ ﷺ ، فالله تعالى لا يمكن أن يعني أزواجاً لا وجودَ لهنَّ على أرضِ الواقع ، أو أزواجاً من عصرٍ آخر ، أو أزواجاً من الآخرة ، لأنّ التبديلَ المعنيَّ هو في الدنيا وليس في الآخرة ..

.. والعبارة : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ التي لا تعني اليقين ، وذلك بورود كلمة ﴿ إن ﴾ دون كلمة (إذا) ، في قولِه تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢

] .. هذه العبارة : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ تُؤكِّدُ لنا الجانبَ البشريّ الذي يعني احتمالَ الخطأ وعدمَ العصمةِ في ذاتِ نساءِ النبيِّ ﷺ ، شأنهنّ في ذلك شأنُ كُلِّ أهلِ البيت ، وبالتالي فهذه العبارة ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ تُؤكِّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه من الوسطيّة والاعتدال في صحّة ما نقول ، فلو كانت التقوى حتميّةَ الوقوع لوردت كلمةُ (إذا) دون كلمة ﴿ إِن ﴾ ..

.. وكلامنا هذا لا يحملُ أيَّ إساءة لزوجات النبيّ ﷺ ، أو لأهل البيت ، كما سيتوهّم التائهون عابدو أصنام التاريخ الذين لا تعنيهم حقيقةُ دلالاتِ كتابِ الله تعالى لا من قريبٍ ولا من بعيد .. نحن نقول : أزواجُ النبيِّ ﷺ بشرٌ يتطهرن بمقدار التزامِهن بإرادة الله تعالى الشرعية ، للتطهير ولإذهاب الرجس .. شأنُهنّ بذلك شأنُ سائرِ أهل البيت .. فأزواجُ النبيّ ﷺ يكفيهنّ شرفاً ومرتبةً تميّزن بها عن غيرهنّ من نساء عصرهن ، أنَّ اللهَ تعالى وصفهنّ بأنّهنّ أزواجٌ للنبيِّ ﷺ وأمّهاتٌ للمؤمنين .. يقولُ تعالى :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٦]

... وصفةُ الزوجيّة مع النبيِّ ﷺ هي صفةٌ تتشرّفُ بها أيُّ امرأةٍ ، لأنّها تعني دخولَ ساحةِ الطهارةِ والنقاءِ والخلاص .. وكنّا قد بيّنا كيف أنَّ المرأةَ التي تهبُ نفسها لمقامِ النبوّةِ : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، تكون قد اختارت الخلاصَ والطهارةَ والابتعادَ عن زينةِ الحياة الدنيا وشهواتِها ، وهذا شرفٌ يُميّزها عن غيرها من النساء ..

.. أعتقدُ أنّنا أصبحنا أكثرَ إدراكاً لربطِ عبارة التطهير وإذهاب الرجس مع العباراتِ المحيطة بها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. وأعتقد أنّنا أصبحنا أكثرَ إدراكاً لورود هذه العبارة بصيغة المذكّر دون صيغة المؤنّث ..

.. إذاً .. لا يُمكنُ الاستدلالُ بالإرادةِ الواردة في هذه العبارة القرآنيّة على حتميّة وقوع إذهاب الرجس والتطهير ، وهذا الاستدلالُ ليس سليماً في معيار كتابِ الله تعالى ، فهو مبنيٌّ على عصبيّاتٍ مُسبقةِ الصنع لا وجودَ لها إلاّ في روايات التاريخ المنسوجة أصلاً على منوال تلك العصبيّات ..

.. ولننظر مرّةً أُخرى في ذات العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. إنّنا نرى أنّ إرادةَ الله تعالى لا تتعلّقُ بالعصمة لا من قريب ولا من بعيد ، فلا وجود لكلمةٍ تُشير إلى العصمة في هذه العبارة القرآنيّة .. وما تتعلّقُ به هذه العبارة القرآنيّة هو إذهابُ الرجس والتطهير ..

.. في كتاب الله تعالى تتعلّقُ العصمةُ بإبلاغِ منهجِ الله تعالى ، أي تتعلّق بصفةِ الرسالةِ حصراً .. يقولُ تعالى مخاطباً رسولَه ﷺ بصيغةِ الرسالةِ حصراً دون أيِّ صيغةٍ أخرى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .. إذاً .. العصمةُ هي في تبليغ المنهج ، كَوْنَ المنهجِ محفوظاً من الله تعالى ، وهذا الحفظ يتطلّبُ عصمةَ الرسولِ ﷺ في إبلاغِ ذلك المنهجِ المحفوظ ..

.. بينما إذهابُ الرجسِ والطهارةُ ، فهما مسألتان تتعلّقان بالخلاصِ لله تعالى والنقاء ، وبالتالي تتعلّقان بصفة النبوّة .. ولذلك نرى أنّ السياقَ القرآنيَّ المحيطَ بعبارة التطهير وإذهابِ الرجس ، نرى أنَّ هذا السياق يتعلّقُ بمسألةِ النبوّة ، من خلال ذِكْرِ نساء النبيّ ﷺ والأحكامِ الخاصّةِ المتعلّقةِ بهنّ كونهنَّ نساءَ النبيّ .. ففي السياق القرآني السابق لعبارة التطهير نرى العبارة القرآنيّة : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾ ، وهذا يُؤكّدُ أنَّ المسألةَ مسألةُ خصوصيّةٍ لنساءِ النبي يتميّزن بها عن باقي النساء ، أيّ أنّ المسألةَ مسألةُ إذهابِ الرجسِ والطهارةِ والعملِ لصوْنِ الشرفِ والعِرض من أجل تحقّق هذه الإرادة الشرعيّة .. ولا علاقةَ لذلك بالعصمة في إبلاغ المنهج عن اللهِ سبحانه وتعالى .. ولو قرأنا عبارةَ إذهابِ الرجس والتطهير ضمن سياقِها القرآنيِّ المُحيط بها قراءةَ بحثٍ عن الحقيقة ، لرأينا صحّةَ ما نذهبُ إليه .. يقولُ تعالى ..

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا

نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ – ٣٤]

.. إنَّ العصبيّةَ المُسبقةَ الصنع التي تقفُ وراءَ فرضيّةِ عصمةِ آلِ البيت ، كانت نتيجةَ ردودِ أفعالٍ على ما تعرّضَ له أهلُ البيت من ظلمٍ ومن تقتيل ومن أعمال يندى لها الجبين ، على يدِ إخوانهم من أبناءِ جيلهم .. فكانت ردّةُ الفعل تتجلّى في تضخيم أهل البيت وتصويرِهم في صورٍ لا يقبلونها هم لو كانوا أحياءً ..

.. ومع الزمن يزدادُ الغرق في مستنقع العصبيّة المذهبية ، وتزداد وتيرة الأفعال وردود الأفعال على ما يقوله الآخرون الغارقون في مستنقعات العصبيّات المذهبيّة الأخرى ، وبالتالي ينمو المنهج المبنيّ على الخوارق المصطنعة ، ليصوّر رجالات المذاهب أصناماً لها صفاتها الخارقة التي لا يقبلها كتاب الله تعالى ولا عقلٌ سليم ولا منطق .. ولرؤيةِ هذه الحقيقة ما علينا إلاّ أن ننظرَ في النصِّ التالي الوارد في كتاب : (**أصول الكافي**) :

[[عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن يونس بن يعقوب ، عن الحارث بن المغيرة ، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي ، **سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول : إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنّة وما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ، ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجل ، إنّ الله عزّ وجل يقول : ((تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ))**]] ..

.. يعلّمنا كتابُ اللهِ تعالى أنّه حتى الرسول ﷺ لم يكن يعلم الغيب ، يقولُ تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .. ويقولُ تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .. ويقولُ تعالى :

﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأحقاف : ٩] ..

.. وكنّا قد رأينا كيف أنّه ﷺ لم يكن يعلم الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة في عصـــره : ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. فكيف إذاً يمكننا أن نصدّقَ الكلام الموضوع على لسان أبي عبد الله في هذه الرواية الموضوعة ، بأنّه قال : [[**إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنّة وما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون**]] ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. وكيف بنا أن نُصدّقَ الكلامَ التالي الموضوع – أيضاً – على لسان الرسول ﷺ في النصّ التالي الذي ننقله بحرفيّته من كتاب (**أصول الكافي**) :

[[عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن سيف ، عن أبيه ، عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **خطب رسول الله ﷺ وآله الناس ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه ثمّ قال : أتدرون أيّها الناس ما في كفّي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال :**

فيها أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثمّ رفع يده الشمال فقال : أيها الناس أتدرون ما في كفّي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثمّ قال حكم الله وعدل ، حكم الله وعدل ، فريق في الجنة وفريق في السعير]] ..

.. هذه العصبيةُ التي هي ردودُ أفعال على ما تعرّضَ له أهلُ البيت من ظلمٍ ، والتي ينقضُها كتابُ الله تعالى جملةً وتفصيلاً ، نراها تتجلّى في الرواية التالية التي ننقلها من كتاب (**أصول الكافي**) :

[[عليّ بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمّون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ ، عن عبد الله بن القاسم ، عن صالح بن سهل الهمداني قال : **قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ)) فاطمة عليها السلام ، ((فِيهَا مِصْبَاحٌ)) الحسن ، ((الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ)) الحسين ، ((الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)) فاطمة كوكب درّي بين نساء أهل الدنيا ، ((يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)) إبراهيم عليه السلام ، ((زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ)) لا يهوديّة ولا نصرانية ، ((يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ)) يكاد العلم ينفجر بها ، ((وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ)) إمام منها بعد إمام ، ((يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)) يهدي الله للأئمة من يشاء ، .....]]** ..

.. لا نستطيعُ أنْ نقبلَ مثلَ هذه التأويلات المُفتراة على لسان أبي عبد الله إلاّ بعدَ أنْ نُطلِّقَ عقولَنا ، وأن ننسى قواعدَ اللغة العربيّةِ ، وأن نُعْرِضَ عن دلالاتِ الكلماتِ الواضحةِ وضوح الشمس وسط النهار في قوْلِه تعالى :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥]

.. ولو قُدِّرَ لأبي عبد الله أن يخرجَ من قبرِه ، فهل كان سيرضى عن هذا التأويل الذي يُنسبُ إليه في تفسيرِ هذه الآيةِ الكريمة ؟!!! .. ولو تمَّ اعتمادُ مثل هذا التأويل منهجاً في تفسيرِ النصِّ القرآني ، فليس من الصعب أنْ يُحمِّلَه الآخرون أيَّ قِصّةٍ من قصص الرسوم المتحرّكة ..

.. وهذه العصبيّةُ تقودُ إلى نتائجَ لا يقبلها كتابُ الله تعالى ولا العقل ولا المنطق ..

لننظر إلى النصّ التالي الذي ننقله بحرفيّته من كتاب : (**أصول الكافي**) :

[[عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجل (وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً) ما الرسول وما النبي ؟ قال : النبيّ الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك ، قلت : الإمام ما منزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ، ثمّ تلا هذه الآية ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ ولا محدَّث))]] ..

.. هل هذان التعريفان للنبيّ والرسول يوافقان دلالاتِ كلمتي الرسول والنبي في كتابِ الله تعالى ؟!!! .. ومن أين أتت كلمتا **[[ولا محدَّث]]** في تلاوةِ الآيةِ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢]

.. هل تخدمُ مثل هذه الروايات حقيقةَ منهجِ الله تعالى ؟!!! .. وكيفَ لإنسانٍ يتدبَّرُ كتابَ الله تعالى أن يُقرَّ بصحّةِ مثلِ هذه الروايات ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر من كتاب (**أصول الكافي**) ، نتجَ عن عصبيّةٍ مُسبقةِ الصـــنع ، لِيُصوِّرَ دلالاتِ كتابِ اللهِ تعالى في غير مكانها :

[[محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبـي ولاّد قـال : **سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل : ((الَّـذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَتْلُونَـهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ)) قال : هم الأئمة عليهم السلام]]** ..

.. هل دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ ، هل تعني الأئمة ؟!!! .. فمن أين أتت كلمة الأئمة إلى هذه العبارة القرآنيّة ، وكيف أُقحِمَت بها ؟!!! .. ولو اعتبرنا هذا الكلامَ المغلوطَ معياراً نفهمُ به كتابَ الله تعالى ، فكيف بنا أن نفهم الكثيرَ من آياتِه بناءً على ذلك ؟!!! .. أليس هذا وضعاً ناتجاً عن اعتبار رجالات المذاهب أكبر من المنهج ذاته ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور في الفلك ذاته .. ننقله بحرفيّته من ذات المرجع :

[[عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بـن عبـد الحميـد ، عن موسى بن أكيل النميريّ ، عن العلاء بن سيابة ، **عن أبي عبد الله عليه السلام في قولـه تعالى : ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)) قال : يهدي إلى الإمام]]** ..

.. كيف يكون تفسير العبارة القرآنيّة : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ** ﴾ ، بأنّها تعني : **[[يهدي إلى الإمام]]** .. أليس هذا تحريفاً للكلم عن مواضعه ، واستخفافاً بكتاب الله تعالى وبعقولنا ، دون أيِّ اعتبارٍ لقواعدِ اللغةِ العربيّةِ ، ولثوابتِ العقلِ والمنطق ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور – أيضاً – في الفلك ذاته ، ننقله بحرفيّته من ذات المرجـــع أيضاً : **[[** الحسين بن محمد ، عن معلّى بن محمد ، عن الحسن بـن علـيّ الوشّـاء ، عـن أحمد بن عمر قال : **سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجـل : ((إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُكُمْ**

أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)) قال : هم الأئمة من آل محمد (ص) وآله أن يؤدّي الإمام الأمانة إلى من بعده ولا يخصّ بها غيره ولا يزويها عنه]]

.. هل تخدمُ هذه الروايات إلاّ عصبيّاتٍ مُسبقةَ الصنع لا تؤدّي إلاّ إلى الابتعاد عن حقيقةِ منهجِ الله تعالى ؟!!! .. ألا نرى في هذه الروايات حاجزاً وُضِعَ عمداً لمنع الباحثين عن الحقيقة من رؤية دلالات كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور – أيضاً – في الفلك ذاته ، ننقله بحرفيّته من كتاب (**أصول الكافي**) ، وهو نصٌّ موضوعٌ يسيء إلى عليٍّ :

[[أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ، عن أبي عبد الله الصامت ، عن يحيى بن مساور ، **عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ذكر هذه الآية : ((فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)) قال : هو والله عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام]]** ..

.. كيف تعني كلمة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ في قوْله تعالى : ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، كيف تعني علياً بن أبي طالب ؟!!! ، والأهم من كلِّ ذلك كيفَ يُصدِّقُ هذا الكلام من يُدركُ دلالات اللغة العربيّة وقواعدَها ؟!!! .. أليس هذا تحريفاً متعمّداً للكلم عن مواضعه ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور – أيضاً – في الفلك ذاته ، ننقله بحرفيّته من كتاب : (**أصول الكافي**) :

[[..... أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر يوماً : ((وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) وأشهدُ [أنّ] محمداً ﷺ مات شهيداً والله ليأتينّك ، فأيقنْ إذا جاءك فإنّ الشيطان غير متخيّل به ، فأخذ علي بيد أبي بكر فأراه النبي ﷺ وآله فقال له : يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده ، إنّهم مثلي إلاّ النبوّة ، وتب إلى الله ممّا في يدك ، فإنّه لا حقّ لك فيه ، قال : ثمّ ذهب فلم يُر]] ..

.. كيف يُرِي عليٌّ أبا بكرٍ النبيَّ ﷺ ، ليقولَ له : **[[آمن بعلي وبأحد عشر من ولده ، إنّهم مثلي إلاّ النبوّة]]** .. كيف يقومُ عليٌّ بعملٍ لا يقدِرُ عليه إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى ، ويخالفُ النواميس التي يُبيّنُها اللهُ تعالى في كتابه الكريم ؟!!! .. وإن كانت الخلافةُ – بعد النبيِّ ﷺ – حقٌّ لعليٍّ وأولاده ، أو لأبي بكرٍ ، أو لأيِّ إنسانٍ آخر ، فكيف بنا إذاً أن نفهمَ دلالاتِ قوْلِ الله تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ؟!!! .. ألا يجدر بنا بعدَ أكثر من أربعةَ عشر قرناً أن نقفَ عند مثلِ هذه الروايات لنعايرَها على كتابِ الله تعالى ، وأن نعترفَ أنّها موضوعةٌ من أساسها ؟ ، وأنّها سببُ تفرقةِ الأمّةِ واقتتالِ أبنائها .. ألا يخجل من نفسه كلُّ عاقلٍ حينما يقرأ مثل هذه الرواية ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

والأحاديثُ الموضوعةُ التي تُصوِّرُ أهلَ البيت تصويراً لا يقبلُه اللهُ تعالى ولا رسولُه ﷺ ولا أهلُ البيت ذاتُهم ، موجودةٌ أيضاً في روايات أهل السنّة .. لننظر إلى الحديث التالي :

الترمذي (٣٧٢٠) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَالْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا** قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

أحمد (١٠٦٨١) :

حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْرَائِيلَ يَعْنِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُلَائِيَّ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**

أحمد (١٠٧٧٩) :

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي أَلَا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

.. كيف نفهم العبارة التي يُزعَم أنّ الرسول ﷺ قد قالها : [[إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي]] .. كيف تكونُ عِترةُ أهلِ البيت أكبرَ من كتابِ الله تعالى ، والنبيُّ ﷺ ذاتُه لم يستطعْ مخالفةَ أحكامِه ، حتى في بيت الزوجيّة الخاصّ به :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

.. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ – ٤٧]

.. ألا تعني العبارةُ الواردةُ في هذه الأحاديث : [[أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنْ الْآخَرِ]] ، والعبارة : [[أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ]] ، ألا تعني مثلُ هذه العبارات أنَّ عِترةَ أهل البيت من الممكن أن تكون أكبرَ وأعظمَ من كتابِ الله تعالى ، في السويةِ ذاتِها التي يمكنُ أن يكونَ فيها كتابُ الله تعالى أعظمَ وأكبرَ من عترةِ أهل البيت ؟!!! ..

.. مهما كان الرجال عظماء ، حتى لو كانوا من الأنبياء ذاتِهم ، فإنَّ رَفْعَهم إلى مُستوى كتابِ اللهِ تعالى (القرآن الكريم) ، هو عملٌ لا يرضاهُ الله تعالى ، ولا يرضاه كلُّ من يعرفُ قيمةَ كتابِ اللهِ تعالى مُدركاً دلالاتِه ..

.. ألم يقل الله تعالى في كتابِه الكريم ..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .. فكيف إذاً تكونُ عِتْرةُ أهل البيت أكبرَ وأعظمَ أو مساويةً لكتابِ الله تعالى ، أليس عِترةُ أهل البيت من الإنس المعنيين في هذه الآية الكريمة ؟!!! ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٣ – ٣٤] .. ألا يعني ذلك أنَّ كُلَّ من يزعمُ بأنّهُ يأتي بحديثٍ من مثلِ كتابِ الله تعالى هو من الكاذبين .. فكيف إذاً تكونُ عِتْرةُ أهل البيت أكبرَ وأعظمَ أو مساويةً لكتابِ الله تعالى ، كما يُزْعَمُ في هذه الروايات الموضوعة ؟!!! .. إذا كان من يزعم أنّه يأتي بمثل كتاب الله تعالى يكون من الكاذبين ، فكيف بمن يزعم أنَّ بشراً هو أعظمُ من كتاب الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. أليست الروايات عند السنّة والشيعة – على حدٍّ سواء – ليست يقينيّةَ الثبوت مثلَ كتاب الله تعالى ، وهي ظنيّةُ الثبوت ؟ .. ألم يُبيّن الله تعالى أنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس : ٣٦] ؟ ..

.. ألم يُبيّن الله تعالى أنَّ اتّباعَ الظن يُؤدّي بصاحبه إلى الضلال : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] ؟ .. ألا يعني ذلك أن اتّباع الروايات اتّباعاً أعمى تُرفعُ فيه إلى درجة الإيمان الكامل الموازي للإيمان بكتاب الله تعالى ، هو عملٌ يؤدّي إلى الضلال ، ويؤدّي بصاحبه إلى الموصوفين بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ ..

.. ألم نرَ هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] .. ألا تعني العبارة : ﴿ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ ﴾ كلَّ ما هو خارج دفتي كتاب الله تعالى القرآن الكريم ؟ .. أليست العبارة : ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ تعني نهياً إلهيّاً عن الإيمان بأيِّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ولذلك نرى أنَّ الله تعالى يُبيّنُ لنا أنَّ إدخالَ أيّ نصٍّ موضوعٍ إلى ساحة المقدَّس ، هو عملٌ يحملُ من الظلم ما هو أكبر حتى من ظلمِ التكذيب بالمنهج ذاتِه .. يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] ..

.. إنَّ تقديم عبارة افتراء الكذب على الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، على عبارة التكذيب بآيات الله تعالى : ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ ﴾ ، وعلى عبارة التكذيب بالحقّ من عند الله تعالى : ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ ﴾ .. هذا التقديم يدلُّ على أنَّ الإقرار بأيِّ رواية مكذوبة على الرسول ﷺ ، واعتبارها من الدين ، وفرضها على الناس ، هو ظلمٌ أكبرُ من ظلمِ التكذيبِ بالمنهج ذاتِه .. فهذا الإقرارُ هو إساءة للمنهج ذاته ، ومحاولةٌ لتشويهه ، لدرجةٍ يُقْطَعُ فيها الطريقُ على كلِّ باحثٍ عن الحقيقة يريدُ معرفةَ أحكامِ الله تعالى ..

.. وحتى لو أعرضنا عن كلِّ ما بيّناه بالأدلّة والبراهين القرآنيّة .. حتى لو أعرضنا عنه .. وسألنا أنفسَنا السؤالَ التالي : هل أهلُ البيت موجودون أمامنا ونأخذُ منهم الروايات التي سمعوها من الرسول ﷺ ؟ ، أم أنّ ما نُقلَ عنهم قد تمّ بأدوات تاريخيّة لا تختلف كثيراً – من حيث المبدأ – عن الأدوات التاريخيّة التي نُقِلَت بها أحاديثُ أهل السنّة ؟ ... ومن

قال إنّ ما بين أيدينا من روايات عن أهل البيت أم عن الصحابة قد وصلت إلينا محفوظةً دون زيادةٍ أو نقصانٍ أو افتراء ؟ .. ألا يتطلبُ ذلك عصمةً لناقلي هذه الروايات من عصر الرسول ﷺ إلى عصر تدوينها ، بل إلى الآن ؟ ..

.. أليس في قولِه تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

.. أليس في هذه الآية الكريمة دليلٌ على أنَّ الرسول فقط وفقط لا غير هو من يُعْتَبَرُ أسوةً حسنة لمن يريدُ اللهَ تعالى واليومَ الآخِر .. إنّنا نرى أنَّ صفةَ الرسالة هي ما يرد في هذه الصياغة القرآنيّة دون غيرها ، بدليلِ العبارة : ﴿ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ .. فكيف إذاً نفتّش عن عصمةِ بعضِ رجالاتِ التاريخ وعدالتِهم ، لنجعل منهم قنواتِ تشريع نأخذها بقدسيّةٍ كقدسيّةِ كتابِ الله تعالى ؟ .. ولو سلّمنا – جدلاً – بفرضيّةِ عدالةِ الصحابة وبفرضيّةِ عصمة أهل البيت ، ألاّ يتطلبُ أَخْذُ ما وصلنا عنهم عصمةً وعدالةً لكلِّ من أتى بعدَهم .. فما الضمان – إذاً – أنّه لم يُلبّس عليهم ممّن روى عنهم .. فهل يَذْكرُ اللهُ تعالى لنا أنّه حَفِظَ رجالات التاريخ وعَصَمَهم وعَصَم من نقل عنهم وأنّه حَفِظَ كُتُبَهُم ؟ ..

.. كمنهج نعتبره غايةً لنا .. ماذا تفيدنا كلُّ تلك العصبيّات ، إذا كنّا سنضعُ ما يأتينا عبر التاريخ في ميزان كتاب الله تعالى ؟ .. وما الفارق بين كونهم معصومين وعدولاً وتمّ الخطأ في النقل عنهم من قِبلِ من أتى بعدَهم ، وبينهم كونهم ليسوا معصومين وليسوا عدولاً وتمّت الأمانةُ في النقل عنهم ؟ .. ألسنا في الحالتين أمام نصوصٍ تاريخيّة لا بُدّ لها من نصٍّ مقدّس هو كتابُ الله تعالى ، لِتُعايرَ عليه ؟ ..

.. لماذا الإصرارُ على السير وفق خطا المعنيين بقوله تعالى ..

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥]

.. هؤلاء المعنيون بهذه الآية الكريمة لا تشمئز قلوبُهم حينما يُذكَرُ اللهُ تعالى مع غيره ، أي حينما يُخْلَطُ التشريعُ ما بين النصِّ الإلهيِّ وروايات التاريخ ، فقلوبهم تشمئز فقط حينما يُذكرُ الله تعالى وحده دون ذكرٍ لِغيره ، أي حينما يُعتبرُ النصُّ القرآنيُّ نصّاً وحيداً مُقدّساً تُعايرُ عليه كُلُّ النصوصِ مهما كانت .. ألا نخشى من الله تعالى أن تنطبقَ علينا هذه الآيةُ الكريمة ولو بإسقاطٍ نسبيٍّ ، حينما نُصرُّ على وضعِ نصٍّ موازٍ لكتاب الله تعالى ، تحت شعاراتٍ برّاقة ، وتحت مفاهيم نصنعها بأيدينا مثل عدالة الصحابة وعصمة آل البيت ، ونجيّشُ العوامَّ لحمايةِ ما صنعناه بأنفسنا مُتّهمين من يُقدِّسُ كتابَ الله تعالى دون روايات التاريخ بأنّه مُنكرٌ للسنّةِ الشريفة ، سواءٌ كانت سُنّةَ أهل السنّة أم سُنّةَ أهل الشيعة ؟ ..

.. ألا نخشى من الله تعالى حينما ننظر بتجرّد إلى قولِه تعالى ..

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام : ٦٦]

.. الله تعالى يقول ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ .. أي أنّ القومَ كذّبوا بكتاب الله تعالى ... والله تعالى لم يقل : (وكذّبه قومُك) ، إنّما يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ ، فالقوم كلُّ القوم كذّبوا ببعضِ ما يحملُ القرآنُ الكريم .. هذا ما تقولُه الآيةُ الكريمةُ دون ذرٍّ للرماد في العيون .. وهذا ما نقرؤه أيضاً في قولِه تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٦ – ٣٧]

.. الذين يفرحون بما أُنزل على الرسول ﷺ هم المسلمون المؤمنون بصدقِ نزول النصِّ القرآني من عند الله تعالى ، وليس الآخرين الذين لا يؤمنون أصلاً برسالةِ الرسول محمّد ﷺ .. ولكنْ .. نتيجةُ الاندفاع وراء العصبيّات التاريخيّة من رجال التاريخ ومن روايات التاريخ ، ونتيجةُ عدمِ النظر إلى كتاب الله تعالى إلاّ من خلال روايات التاريخ

وَفَهْمِ بعضِ رجالاته .. نتيجةُ ذلك يقع ما تحملُه العبارة القرآنيّة : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ .. فجحودُ بعض أحكام القرآن الكريم ، ناتجٌ عن تقديم نصوص التاريخ نصوصاً موازيةً للنصّ القرآني .. ولذلك يقول تعالى مخاطباً الرسول ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِ كلَّ إنسانٍ إلى قيام الساعة : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام ك ١١٤] .. ألا يعني ذلك أنَّ الكتابَ الذي أنزله الله تعالى مُفصّلاً وهو القرآن الكريم ، هو طريق الله تعالى الذي يبتغيه النبيُّ ذاته حَكَماً ومرجعاً ، ومن بعده كلّ المؤمنين الصادقين ؟ ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] .. أليس القرآن الكريم هو ما أُنزل إلينا من ربّنا ؟ .. ألا تحملُ العبارة : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ ، ألا تحملُ نهياً إلهيّاً عن اتّباع ما هو دون كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .. أليست الكلمة : ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، أليست أمراً إلهيّاً باتّباع القرآن الكريم الموصوف بقوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ ؟ ..

.. إذاً .. مقولةُ أهلِ السنّةِ بعدالةِ الصحابة ، وأنّ أفعالَهم وأقوالَهم مستمدّةٌ من سنّة رسول الله ﷺ ، وأنَّ رواياتهم التي جمعت من أفواه الرجال بعد موت النبيّ ﷺ بمدّةٍ ليست

قليلة ، هي عين السنّة الشريفة .. ومقولةُ أهلِ الشيعة بعصمة آل البيت وأنّ ما يقولونه من التشريع ، وأنَّ رواياتهم التي جمعت من أفواه الرجال بعد موت النبيّ ﷺ بمدّة ليست قليلة ، هي عين السنّة الشريفة ... كلُّ ذلك لا علاقةَ له بمنهج الله تعالى ، وكلّ ذلك تمَّ وَضْعُه خلالَ التاريخ كفعلٍ وردِّ فعل ، لتكريس المذهبيّة العصبيّة التي مزَّقت جسدَ هذه الأمّة .. وكلُّ ذلك يؤدّي إلى إبعاد أبناء الأمّة عن رؤية حقيقة الأحكام التي يحملها كتابُ الله تعالى ..

.. لا سبيلَ – أبداً – إلى وحدةِ الأمّةِ فكريّاً في منهجٍ واحدٍ ، لا يُكفِّرُ فيه أحدٌ أحداً ، لا سبيلَ لذلك إلاّ بالعودةِ الصادقة إلى كتابِ الله تعالى ، وبوضْعِ جميع الروايات عند السنّةِ والشيعةِ على حدٍّ سواء في ميزانِ كتابِ الله تعالى ، وبعدمِ تقديس الرجال مهما كانوا ، سواءً كانوا أهلَ بيت أم صحابة ، وبإدراكِ دلالات كتابِ الله تعالى بشكلٍ تصاعديٍّ يفهمها كُلُّ جيلٍ أكثرَ من الأجيال التي سبقته ..